إنتفاضة سكان الظهرة 1845ـ 1847

د/حباش فاطمة، جامعة تيارت

الملخص:

منذ نزول الاحتلال الفرنسي على الجزائر بعد الحملة العسكرية سنة 1830 ظهر رد فعل قوي ورافض للتواجد الأجنبي أشرفت عليه زعامات سياسية ودينية تولت مهمة تجنيد وتنظيم وتوحيد القبائل الجزائرية بمختلف المناطق تحت راية الجهاد المقدس. ومن المناطق التي شهدت على المقاومة العسكرية نجد منطقة الظهرة التي كانت أراضيها مسرحا لبطولات نضالية نفذتها قبائل المنطقة كأولاد رياح وأولاد سيدي يونس، تنوعت بين المواجهات المباشرة في معارك وبين هجومات خاطفة ضمن حرب العصابات ضد الفرنسيين وعملائهم من الجزائريين.

قامت قبائل الظهرة بدورها النضالي إلى جانب الأمير عبد القادر ثم مع الشريف بومعزة الذي ظهر في المنطقة عند أولا سيدي يونس سنة 1844 وشرع في دعوة الناس للجهاد مستندا على العامل الديني، فهو من أتباع الطريقة الصوفية الطيبية التي اشتهرت بدورها السياسي ومساندتها لكل المقاومات.

عموما حاولت الاهتمام بالبحث في تاريخ منطقة الظهرة خلال القرن 19 ومعالجة إشكالية تاريخية تتمحور حول الدور الذي قامت به قبائل الظهرة في مقاومة الشريف بومعزة لتؤكد على موقفها من الاستعمار الفرنسي وعدم الاستسلام والخضوع له بعد تراجع مقاومة الأمير عبد القادر.

الكلمات المفتاحية:

المقاومة/ الظهرة/ الطرق الصوفية/ الاستعمار/ حرب العصابات/ الاستيطان/ القبائل/ الشريف/ أولاد رياح / الطيبية/ التعصب.

Since the revelation of the French occupation of Algeria after the military in 1830 à strong reaction appeared dismissive of foreign presence supervised by the political and religious leaders took over the task of recruiting and organizing and unifying the Algerian tribes in various areas under the banner of the holy jihad. Notable areas of military resistance, we find Dahra area wich the scene of territory championships struggle carried out by tribes of the region varied between direct confrontations in the battles between the attacks and lightning with in the guerrilla war against the French and their agents of Algerians.

The tribes Dahra turn to struggle along with the Emir Abd-el-Kader then Bou Maaza who appeared in the region when the Ouled Younis in 1844 and proceeded to call people for jihad based on the religious factor, he is a follower of soufi Tayyibia and famous political role of supporting all resistors.

Generally tried to pay heed to piggyback on the history of the area during the 19th century and address the historical problematic centered on the role played by the tribes in Dahra resistance to cherif Bou maaza to confirm the of French colonialism and not to surrender and submit to him after the decline of the Emir Abd-el-Kader.

Keywords:

Resistance/ Dahra / Sufi/ Colonial/ Guerrilla/ Settlement/ Tribes/ Cherif/ Ouled Riah/ Tayybia/ Intolerance.

تمهيد:

استقرت فرنسا بعد حملتها على مدينة الجزائر والمدن الساحلية الأخرى[1] على فكرة الإحتلال الإستيطاني مما استوجب توجيه حملات توسعية إلى باقي البلاد وهنا اصطدمت بالقبائل والأعراش الجزائرية التي أبدت موقفا مناهضا للإحتلال ترجم في الجهة الغربية في مقاومة الأمير عبد القادر (1832ـ 1847)، الذي حاول توحيد القبائل تحت لوائه بإسم الجهاد وحرية الوطن لمجابهة الخطر الأجنبي بدء من الجهة الغربية وصولا إلى الجنوب الشرقي[2]، وبالفعل أصبحت هذه المقاومة تشكل خطرا على الفرنسيين وعلى مشروعهم الإستعماري بحيث وصلوا إلى قناعة أن العامل العسكري من خلال نشاط الجيش ودخوله في مواجهات ومعارك فاصلة غير كافي خاصة بعد الانهزامات التي مونوا بها على يد الأمير وخلفائه بل الأمر يستوجب تبني سياسة تمكنهم قبل القضاء عليه كقائد معركة القضاء على قواعده الخلفية التي يستند عليها ألا وهي القبائل، بتسليط وتوجيه حملات تأديبية لإخضاعها وإلزامها على الإستسلام بالقوة والعنف بتخريب محاصيلها ومصادرة املاكها وتشريد سكانها[3]، وفعلا تم إخضاع القبائل في أغلب المناطق ما بين 1842 و1843 واجبارها على دفع ضرائب حربية.

إذن هذه السياسة أثبتت نتاجها وتأثيرها على الأمير الذي أصبح مطاردا في الصحراء بعد فقدان عاصمته تاقدامت سنة 1841، واتخذت مقاومته طابع الغارات الخفيفة والحرب الخاطفة في إطار حرب العصابات دون أن تتوقف المقاومة نهائيا[4] بل أخذت طابعا جديدا على شكل ثورات وإنتفاضات شعبية ضد العدو بقيادة شخصيات مجهولة النسب ترتكز على فكرة المهداوية والأشراف وعلى الزاوية في تحقيق مبتغاها ضد العدو[5]، وفعلا كانت هذه الإنتفاضات إنبعاث أمل لدى السكان الذين لايزالون متمسكون بالروح النضال رغم خضوعهم لفرنسا التي اقتنعت بأنها قضت على المقاومة، بمفهوم أخر أن القبائل كانت تترقب الفرص للعصيان ومواصلة النضال والتخلص من الإستعمار .

ولعل أهمية البحث في موضوع المقاومة ضد الاستعمار واستمرارها بأشكال مختلفة خلال القرن 19 بمختلف المناطق يدفعنا إلى التفكير في معالجة علمية عميقة وذلك بالتطرق إلى إشكالية تسمح لنا بالتعمق والبحث في التاريخ المحلي للمناطق وابراز دور قبائلها في الجهاد والنضال بعدما كان الاهتمام في الدراسات السابقة البحث في مجال المقاومة بصفة عامة ضد الاستعمار أين يتم التركيز على منطقة على حساب أخرى.

ومن ضمن المناطق التي شهدت هذا التحرك الديني الذي أعاد لها الأمل في وقت مبكر أثناء مرحلة تراجع مقاومة الأمير نجد "**منطقة الظهرة**" وهي منطقة ذات مساحة معتبرة وموقع استراتيجي متميزة بتضاريسها الوعرة والجبلية ترتفع عن سطح البحر أكثر من 500 م، تقع في أقصى الحدود الشرقية الشمالية لمقاطعة وهران بين ساحل البحر المتوسط وحوض الشلف وتشمل كل الأراضي الواقعة بين تنس ومصب نهر الشلف[6]، ومن أشهر جبالها جبل الشيخ 533م، وجبل تزقايت 547 م، وجبل سيدي عامر 657م، وجبل سيدي سليمان ب 683م، كما شملت سلسلة من الأودية كواد شلف وواد الخميس اللذان يصبان في البحر المتوسط فالأول ينبع من الونشريس والثاني ينبع من منطقة الخميس، إضافة إلى واد وليس، ووادي سيدي موسى، وواد كهلال، وواد العبيد، وواد سداوة، وواد الرمان[7].

احتضنت الظهرة انتفاضة عرفت عند الفرنسيين بانتفاضة الطرق الصوفية[8] بزعامة الشريف بومعزة الذي لاتزال المعلومات حول أصوله وشخصيته مبهمة وغامضة، غير أن المتفق عليه خاصة عند الكتابات الفرنسية أصوله تعود إلى المغرب الأقصى منهم هنري دونوفو De Neuvou الذي ذكر في كتابه الإخوان _في إطار إستنطاق[9] خص به أخ بومعزة بعد إلقاء القبض عليه بنواحي بني مناصر من بني زوق زوق _حيث ذكر أنه أخو بومعزة واسمه الحقيقي محمد بن عبد الله من تارودنت بالمغرب الأقصى[10] واتفق معه هنري قارو Henri Garrot[11]، وهو من أتباع الطريقة الطيبية المنتشرة بنواحي وزان إسمه الكامل حسب ما ورد عند يحي بوعزيز محمد بن عبدالله بن وداح ذو هيبة وشخصية قوية لا يعرف الخوف اشتهر بذكائه وفطنته الحادة[12]، حل بالجزائر في منتصف ثلاثينات القرن 19 دون تأكيد لسنة معينة نزل فيها لأنه ورد كذلك حول هذا الأمر اختلاف فأبو القاسم سعد الله يشير إلى 1838 سنة نزوله[13]، أما عبد الرحمان الجيلالي ينقصها بثلاث سنوات في1835، [14] ورغم هذا الاختلاف حول تواجده بالجزائر فإنه يمكن القول تواجد بومعزة تزامن مع مرحلة القوة لمقاومة الأمير حيث استقر بنواحي شلف وتصاهر مع أولاد يونس محاولا إيجاد لنفسه عبر رابطة المصاهرة والدم انتماء بالمنطقة وفعلا تحقق طموحه حيث كانت قبيلة أولاد يونس بنفوذها ومكانتها أول المساندين له في الإنتفاضة[15].

قضى بومعزة هذه الفترة وإلى غاية 1845 في التعبد والتدين والورع محاولا جلب الأنظار إليه من منطلق فكرة المهدي المنتظر ومولاي الساعة والصوفية الدينية، وفعلا أعتبر شريفا في نظر الجميع وانتشرت شهرته الدينية لتشمل كل مناطق حوض الشلف والونشريس والظهرة وأصبح معروفا بلقب بومعزة نسبة إلى العنزة التي كانت ترافقه[16]، حاول إثارة وتحفيز الناس لحمل السلاح خاصة وأن الضمير النضالي كما ذكرنا سابقا والرغبة في المواصلة لازال قائما رغم إجراءات بيجو[17] الإضطهادية، بحيث أنها لم تقص الرغبة في إستمرارية المقاومة بطابع الإنتفاضة[18]، وهذا ما أدركه بومعزة وحاول استغلاله بتتبع أحوال القبائل ومعاناتهم وبناء العلاقات مع الأعيان والشيوخ في الظهرة[19].

ولابد من الاشارة إلى أن زعيم أولاد يونس الحاج حامد اليونسي قام بدور مهم في مرحلة التحضير، فبمجرد نزول محمد بن عبدالله عنده والافصاح عن رغبته في الجهاد ضد أعداء الدين الفرنسيين ودعوته للتعاون، بادر هذا الأخير بالقبول دون تردد وشرع في مد العون بدء بتقديم له لباسا جديدا يليق بمقامه كرجل دين وورع يحمل صفة الشريف ومولاي الساعة ثم أقام على شرفه ضيفة كبيرة دعى فيها كل أعيان وزعماء قبائل منطقة الظهرة ليتعرفوا على الشريف بومعزة، الذي بدوره استغل هذا التجمع وتحدث عن مشروعه النضالي.

إذن بعدما تأكد بومعزة من انتشار سمعته بين القبائل قرر إعلان الجهاد ابتداء من سنة 1845 [20] مستندا على أسباب وعوامل ترتبط مباشرة بالسياسة المدنية والعسكرية لبيجو والمعروفة بسياسة السيف والمحراث للقضاء على المقاومة الوطنية :

❖ 1 الحملات العسكرية تجاة المناطق الداخلية لإخضاع الأعراش بإعتبارها السند المادي للمقاومة ابتداء من 1841 وما صاحبها من همجية من سفك للدماء إلى إبادة جماعية للسكان دون تمييز بحرق محاصيلهم ومصادرة أملاكهم ونفذ هذه الجرائم بيجو وقادته العسكريين منها حملته على منطقة الشلف حيث ترتب عنها ظلم وتعسف في حق السكان أين تعرضوا للتقتيل الجماعي والتشريد وكذا العقوبات الجماعية من مصادرة للأراضي والمواشي[21].

2❖ الترتيب العسكري الذي تبناه بيجو مع 1843 والقاضي بإنشاء مراكز عسكرية كخطوط دفاع لإحكام السيطرة، وعليه فمنطقة الظهرة لم تسلم من هذا الإجراء حيث جاء قرار إنشاء أرينفيل في أفريل 1843 كمركز عسكري يتوسط المدن الثلاثة وهران، مستغانم الجزائر في مكان ملتقى نهر الشلف بواد تسير هارت، يسمح بتموين القوات وربح الوقت أثناء تنقلها[22]، وأوكل هذا المركز إلى سانت أرنو[23] الذي حاول منذ توليه إدارة المركز تطبيق مشروع بيجو الإستيطاني وفي هذا الصدد يقول أرنو (... حان وقت الأمور الجادة : الحصول على الوسائل والإمكانيات لتهيئة مرفأ تنس وشق الطريق المؤدية إليها وإستكمال أشغال الري ومضاعفة مساحة الحقول وإنشاء القرى الزراعية الثلاثة التي طلب الماريشال إقامتها، تحسين المواصلات بتوسيع الطريق إلى مدينة مليانة وإقامة مراكز إتصال وبريد عسكري ...)[24]

وفعلا ساهم إنشاء المركز قيام المشاريع الإستيطانية الأولى فقد هيأ أرنو 50 هكتارا لزرع الحبوب ومد قنوات المياة وحفر الآبار وفتح طريق أرينفيل تنس، والملاحظ من هذا النشاط الإستيطاني قد تطلب مساحات واسعة من الأراضي تم الإستيلاء بفعل إجراءات المصادرة في حق القبائل مما ولد حالة من الحقد والإنتقام[25].

3❖ سياسة بيجو المدنية القاضية بإحداث نظام المكاتب العربية[26] سنة 1844 كنموذج للإدارة الأهلية، فبيجو في سياسته تجاه الأهالي ركز بشكل تراتبي على 3 نقاط أولا السيطرة العسكرية بعدها حكم العرب[27] أين أقر هنا على مبدأ حكم العرب بالعرب[28] من خلال الإستعانة بالزعامات الأهلية وتدجينها وجعلها تحت خدمة السلطة الإستعمارية تحمل ألقابا خلفاء، قياد، أغوات، تحت إمرة المكتب العربي مهمتها التجسس ومراقبة تحركات القبائل وضمان الأمن والسلم[29].

غير أن سوء هذه الإدارة بسبب تعسف وغطرسة عناصرها فرنسيين أوجزائريين وتجاوزاتهم في الضرائب ولد الحقد والرغبة في الإنتقام وخير نموذج ضابط مكتب العربي لأرنفيل ريشارد الذي كان يتقن اللغة العربية مما سمح له التعرف أكثر على العادات والطبائع حيث وصفهم بأقبح الصفات منها الرجل العربي كذاب وأفضل أسلوب في رأيه لمعاملته بعدل هو تأديبه بالعصا وعدم التأخر في معاقبته فورا[30].

بعد توفر هذه العوامل اقتنع بومعزة أن ظروف مواتية خاصة بعد تصاعد حدة الإنتقام لدى السكان على إثر سياسة بيجو حتى إسترهازي في ذكره لتداعيات السياسة أقر أن الأعمال الصادرة عن نزوات الحكم الفردي التعسفي كانت تثير سخط لسكان[31]، وهذا ما حدث في الظهرة واستغله بومعزة لينطلق في نشاطه الثوري متتبعا إستراتيجية حربية سمحت له بتوسيع الإطار الجغرافي للثورة وكسب مساندين جدد وتشتيت القوات الفرنسية في أكثر من مواجهة وهي تقوم على:

1❖ الشروع في الدعاية والدعوة للجهاد إبتداء من مارس 1845 عندما توجه إلى السواحلية أحد فروع أولاد يونس فنزل عند الحاج حامد اليونسي مقدما نفسه على أنه شريف وأختاره دون غيره ليتعاون معه في مجابهة العدو، وفعلا لقى القبول والترحيب وأقام له ضيفة كبيرة جمع فيها أعيان المنطقة وقدمه لهم وحدثهم عن أهدافه النضالية[32].

إمتدت دعايته بفضل هذه المباركة كامل الظهرة، وكذلك بفضل الرسائل التي وجهها بعد ذلك إلى زعماء القبائل، الذين أبدوا له الولاء وزوده بالأموال والأسلحة والذخائر[33] والبغال والحمير كوسيلة نقل وتصال، وأكثر من هذا صنعت له راية من الحرير للجهاد وأعطي حصانا ليركبه وكل هذا يدل على التأييد المطلق[34]. بعدها مباشرة دخل في مرحلة تنظيم أتباعه وأنصاره عسكريا على نهج الأمير فعين ألقابا لرؤساء الجيش آغا

العساكر وآغا الخيالة لكل منهما مرتبا شهريا[35] ، كما أوجد نظاما إداريا على نمط الأمير عبد القادر فأوجد أغوات وقياد وفرض الضرائب لضمان المورد المادي لدعم وتموين المقاومة[36].

2❖ بعد الإستعدادات عند أولاد يونس شرع في عملياته العسكرية متبعا نمط حرب العصابات والهجومات الخاطفة القائمة على الكر والفر[32] ، وهي في الواقع إستراتيجية تبنتها كل الثورات الشعبية من منطلق عدم تكافئ موازين القوى بين طرفين بين جيش فرنسا النظامي والمجهز وقوات غير نظامية، ولقد وجه بومعزة هذا النمط ضد الفرنسيين وأعوانهم من الجزائريين على حد سواء.

بدايتها ضد العملاء، فبعد خروجه من أولاد يونس عسكر قرب سيدي عيسى بن داوود على حدود منطقتي الأصنام ومستغانم حيث شن غارة ليلية ضد قايد مديونة الحاج الصادوق وقتله في أفريل 1845، ثم عاد بعدها إلى معسكره ليجدد العمليه على عرش الصبيح ويقتل القايد الحاج بلقاسم[37]. تكرر نفس المصير مع آغا الورسنيس أحمد الشاوش الذي حاول اعتراض بومعزة أثناء مده لنشاطه جنوبا نحو الونشريس، إذن لقى هذا الأخير حتفه لقاء خيانته عندما اعترضه بومعزة في 16/ 7 قرب مازونة في موكب عرس لابنته فقتل الجميع واستولى على أمتعتهم، وفي نفس الليلة اعترض آغا الصبيحات محمد بن عبد الله الذي كان في مهمة تحصيل الضرائب للسلطة الاستعمارية [38].

دائما في نفس النمط استهدف الفرنسيين من خلال الهجوم على مصالح المعمرين من قرى استيطانية ومزارع وقوافل تجارية وغيرها، وعليه أصبحت كل من تنس وأرنفيل مهددتان من طرف بومعزة لاحتوائهما عدة مشاريع استيطانية أقامها سانت أرنو Saint Arneaud، والتي أصبحت مستهدفة فمرفأ تنس تعرض حسب أرنو لهجمات دمر على إثرها معسكر المضايق الموجود بالقرب كليا[39] وتعدت الهجمات ففي أقل من شهر وصل بومعزة مع أتباعه مشارف المدينتين أين تم قتل ضابط المكتب العربي بيتريكس Beatrix في 1845/4/20 عندما حاول اعتراض سبيل أولاد بوهني في غابة واد ريحان فهاجموه وقتلوه وحزوا رأسه[40]، وتكرر هجوم ثان قرب الأصنام 22/ 1845/4 على فرقة عسكرية كانت تعسكر قرب واد الفضة وتكبدها خسائر فادحة[41]. كما تعرض الثوار في 1845/4/23 لقافلة فرنسية متجهة من تنس إلى الأصنام عند واد علال أين خاضوا معركة دامت ليوم، كما حاصر أتباعه تنس وثار كل سكان وقطعوا الطريق بين تنس والأصنام وإضطر سانت أرنو أن يخطر بورجولي بخطورة الوضع معلما إياه أن مجموع 22 قرية جبلية حمل سكانها السلاح بين بعل وتنس على رأسهم بنو حجا وبنو حوة[42] وبنو هيجه وبوهني.

ومع توالي الهجمات إستنفرت السلطات الاستعمارية وطلب بيجو المدد من باريس وتم رفع حجم القوات واتخاذ تدابير بحفر الخنادق ومضاعفة الحراسة[43].

3❖ إلى جانب حرب العصابات والهجمات الخاطفة فقد تواجه بومعزة في معارك مع القوات الفرنسية التي كانت تلاحقه من مكان إلى أخر منها مواجهة مع سانت أرنو في معركة عين مران في 1845/4/14 وهذا عندما كان متوجها إلى الصبيحات حيث حاول أرنو إعتراض طريقه بعد تتبع أخباره على إثر وشاية من رجلين من الصبيح، إذن عسكر أرنو عند واد الرأس وبومعزة بالخنانسة أين تبادلا الضرب قرب قري لتتحول بعدها إلى معركة قرب مران تكللت بنجاح لأرنو على حساب بومعزة الذي فقد 60 رجلا وأسر15 من أتباعه أعدموا مباشرة لترهيب الناس والتخلي عنه[44].

على إثر الهزيمة انسحب بومعزة إلى جبال المنطقة دون الاستسلام ـ نمط التراجع والإنسحاب إلى مناطق جديدة معمول به في كل الثورات ـ حيث وصل مازونة يوم 1845/4/15 وبدأ في كتابة الرسائل دعى فيها إلى الجهاد وشرح موقفه من الأعداء الذين حاربوه في سهل قري وعن الخائن الحاج بلقاسم الذي لقي حتفة في عملياته الأولى، فاستقبله المازنيون بحفاوة وقدموا له الدعم والمساعدات تعدت 300 جندي[45]. هذا الموقف لسكان مازونة لم تهضمه السلطات الفرنسية وقررت الإنتقام منهم فتوجه إليهم سانت أرنو على رأس قوة فعسكر أمامها وفرض عليهم حصارا في 1845/4/15 ثم دخلها وأعاث فيها فسادا وتخريبا لمدة يومين[46]، أما بومعزة انسحب إلى عشعاشة[46].

وفي 4/17/ خرج أرنو من مازونة متجها إلى معسكر سيدي علي بن داوود أين انضمت إليه قوة إضافية قدمت من تنس دخل بها في مواجهة مع أتباع الشريف يوم 18/ 4/ في البعل، أين حاصر أولاد يونس القوات الفرنسية وكبدوهم خسائر[48].

ولم تقتصر قيادة العمليات ضد بومعزة على أرنو بل خطورته دفعت الحاكم العام بيجو يتدخل شخصيا لقيادة العمليات بالظهرة والتي وصلها يوم 5/9 وبقي فيها حتى 12 جوان، واتخذ قرارا عبر فيه عن الهمجية الاستعمار وحالة الهيستريا التي تصيب السلطات الاستعمارية عندما تتوالى عليها الانهزامات ويتوسع النشاط الثوري إذ نجدها تبارك الابادة الجماعية في حق الجزائريين وهو ما حدث في حق قبيلتين من منطقة الظهرة عندما أبدتا الدعم لبومعزة ورفضتا الخضوع وهما على التوالي قبيلة أولاد رياح بالقرب من عشعاشة والتي جند لها الجنرال بليسسي Pelissier قوة معتبرة قدرت ب 4000 جندي مدعمة ب 200 عنصر من القوم تم بواسطتها تصفية القبيلة بحرق ممتلكاتهم والانتقام من سكانها الذين هربوا رجالا ونساء وأطفالا، واحتموا بغار الفراشيح، الأمر الذي دفع ببليسيي إلى غلق فتحتي الغار بالحطب واشعاله يوم 17 /6/ 1845 مما أدى إلى خنقهم بالدخان [49] ونفس المجزرة ارتكبت من قبل كافنياك في حق عرش الصبيح[50] الذين بدورهم احتموا بإحدى المغارات الجبال المحاذية لأراضيهم.

ورغم الإبادات الجماعية لأتباع الشريف بومعزة بقيت ثورته قائمة، وفي مطلع 1846 تواجه بومعزة مع ضابط المكتب العربي لاباسي Lapasset قرب تاجنة عندما كان هذا في حملة استطلاع على رأس قوة قدرت 120 جندي أما بومعزة فكان برفقة 25 فارس و700 جندي مشاة مني بهزيمة.

ولابد من الإشارة أن عمله الثوري تعدى الظهرة إلى مناطق أخرى عند أهل فليتة وجبال الديرة بسور الغزلان ثم إلى الصحراء مرورا بالأحرار وأولاد خليف بتيارت ثم أولاد نايل وأولاد جلال[51] كما انضم إلى الأمير عبد القادر لفترة ووحدا نشاطهما[52] منذ عودته من المغرب الأقصى، حيث تعاونا في مواجهة الفرنسيين واتجها إلى جرجرة واشتركا مع أحمد الطيب بن سالم، لكن الاتحاد لم يدم طويلا سرعان ما انفصلا في أكتوبر 1846.

الخاتمة: في الأخير نصل إلى إستنتاج مفاده أن انتفاضة الشريف بومعزة بمنطقة الظهرة والتي دامت سنتين كان لها تأثير كبير على الفرنسيين والدليل الإرباك الذي وقع بين صفوفهم وأدى بهم إلى إرتكاب أبشع الجرائم في حق الإنسانية كرد فعل عشوائي، والوصول إلى قناعة أن المد الجغرافي الذي وصلته الثورة في وقت قصير يدل أن على قوة السند الديني الذي ارتكزت عليه والمتمثل في الطريقة الصوفية والزاوية فعال وذو تأثير قوي ألزمهم ضرورة وجوب البحث في حيثياته لأجل اقصاءه وإلغائه.

الهوامش:

1. من بين المدن الساحلية التي تعرضت للحملة العسكرية نجد كل من مدينة وهران في حملتين الأولى في 13/12/ 1830 والثانية في 3/1/ 1831 ومدينة عنابة بداية في 29/9/1830 ثم في 27/3/1832. ينظر: أبو القاسم سعد الله . تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية . ج1. دار الغرب الإسلامي . لبنان. 1997.

2. ينحدر ناصر الدين الأمير عبد القادر من قبيلة الهشم، وهو الابن الرابع لمحي الدين ولد في شهر ماي 1807 بقرية القيطنة على ضفة واد الحمام بسهل غريس، في وسط عائلة دينية من أتباع الطريقة القادرية. تزعم الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي بعدما رشحه والده للمهمة وتمت مبايعته من طرف شيوخ وأعيان القبائل في بيعتين : الأولى في 21/11/ 1832 والثانية سنة 4 فيفري 1833.

انطلق في الجهاد المقدس بفكرة ضرورة إيجاد وبناء دولة قوية وعصرية تضمن استمرارية النضال ضد عدو قوي، أوجد أسس وضوابط ثابتة بدايتها سلطة صارمة ومطلقة تستند على القرآن والسنة ومبدأ الشورى، أسس نظام إداري محكم وجيش منظم وعدالة صارمة ونظام ضريبي دقيق، اعتنى بالزراعة والصناعة. امتدت مقاومته من 1832 إلى 1847 حقق فيها عدة انتصارات ضد الفرنسيين في معارك فاصلة أشهرها معركة المقطع سنة 1835 ومعركة سيدي إبراهيم سنة 1845، أجبر الفرنسيين إلى إعتماد أسلوب التفاوض معه وإبرام معاهدتين فرض فيها شروطه : الأولى معاهدة ديمشال سنة 1834، والثانية معاهدة التافنة سنة 1837. ينظر : إبراهيم مياسي. من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 2007. ص ص. 33، 34.

3. تبنى الجنرال بيجو بعد توليه منصب الحاكم العام سنة 1841 لاقصاء المقاومة سياسة القهر والعنف وأسلوب الحرب والابادة الشاملة ضد القبائل الجزائرية وكانت في شكل نمطين: الأول مدني من خلال تشجيع الاستيطان الأوروبي بدء بمصادرة الأراضي بصيغ قانونية مختلفة وتوزيعها على المعمرين الذين كان أغلبهم عسكريين، فهو شجع الجندي على الاستثمار والعمل في الأراضي أثناء فترة السلم، سعى إلى القضاء على هوية المجتمع والعمل تطبيق سياسة الاندماج من خلال تدجين الزعامات الجزائرية وضرب مقومات المجتمع الجزائري وهويته الاسلامية من خلال التدخل في القضاء الاسلامي والتعليم نهيك عن توسيع صلاحيات نظام المكاتب العربية وجعلها نظاما رسميا يعنى بشؤون الجزائريين، أما النمط الثاني فهو عسكري حيث استهدف الأمير في مدنه وحاول إثارة خلفاءه ضده خاصة بالمناطق البعيدة وإعتماد إستراتيجية حربية مفادها تبني طوابير خفيفة سريعة التنقل لمطادرة الأمير. ينظر: أبو القاسم سعد الله. نفس المرجع السابق. ص ص 216، 217.

4_ نفسه. ص218.

5. شارل أندري جوليان. تاريخ الجزائر المعاصرة " العروبة وبدايات الاستعمار" (1827 -1871).ط 1. دار الأمة. الجزائر. 2008. ص. 352.

6_ Moulay Belhamissi. Histoire de Mazouna. Société nationale d'édition et de diffusion. Alger. 1981. P.13.

Xavier Yacono. Les Bureaux arabes et l'évolution des genres de vie indigènes dans l'ouest de tell Algérois. Editions Larose. Paris V. 1953.P. 27.

7_ Mairin. Le Dahra ; Cassaigne ; Bousquet ; Pont de Chelif. Imprimerie de l'Ain Sefra. Mostaganem. 1905. P11.

8_ جنان الطاهر. مازونة عاصمة الظهرة. مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع. الجزائر. 2005. ص ص. 24، 25.

9_ إدوارد دو نوفو. الإخوان. ترجمة وتحقيق. كمال فيلالي. دار الهدى. الجزائر. 2003. ص ص. 42، 43.

10_ نفسه. ص. 43.

11_ Henri Garrot. Histoire générale de l'Algérie. Imprimerie Crexenzo. Alger. 1910. PP. 864-866.

12_ يحي بوعزيز. ثورات الجزائر في القرنين 19و 20. ج1. منشورات المتحف الوطني للمجاهد. ط2. 1996. ص. 79.

13_ أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 291.

14_عبد الرحمان الجيلالي. تاريخ الجزائر العام. ج4. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1996. ص. 206.

15_ Jaques Frémeaux. Les Bureaux arabes dans l'Algérie de la conquête . Denoel . Paris. 1993. P. 115.

16_ إدوارد دو نوفو. المصدر السابق. ص. 43./ _ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 79./ _ هنري تشرشل. المصدر السابق. ص. 294.

17_ ولد توماس بيجو في 17 أكتوبر 1784بمدينة ليمونج ذو أصول إيرلندية، انضم إلى الجيش في صفوف الحرس الامبراطوري سنة 1804، قدم إلى الجزائر سنة 1836 وقاد عمليات عسكرية قوية ضد الأمير عبد القادر انتهت بإبرام معاهدة تافنة، في سنة 1841 أصبح حاكما عاما ووبدأ ينادي ويشجع الإستعمار الاستيطاني. ينظر: _ R . Peyronnet. Livre d'or des officiers indigènes (1830-1930). T2. Imprimerie Algérienne. Alger. 1930. PP. 71-72.

18_ تمثلت الاجراءات الاضطهادية للجنرال بيجو في سياسة الأرض المحروقة وذلك بتسليط التخريب والنهب على ممتلكات القبائل المساندة للمقاومة، إضافة إلى مصادرة الأراضي وفرض غرامات عقابية وارتكاب الابادة الجماعية في حق السكان وتلهم حرقا أو خنقا. ينظر: شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص. 253.

19_ أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 291.

20_ هنري تشرشل. المصدر السابق. ص. 294./ _ Jaques Frémeaux. Op. Cit. P. 114.

21_ أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص. 291.

22_ شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص. 338.

23_ .ولد سانت أرنو جاك لورواسنة 1798 بباريس، التحق بالجيش وعمره 16 سنة لكن سرعان ما قدم إستقالته ليحارب باليونان، وبعد عودته امتهن عدة حرف ليعو بعده مجددا إلى الجيش الفرنسي سنة 1830 وقدم خدمات عسكرية بالجزائر حيث اعجب به الجنرال بيجو كثيرا . ينظر: _ R . Peyronnet.Op. Cit. PP. 204-206.

24_ فرنسوا مسبيرو. سانت آرنو أو الشرف الضائع. دار القصبة للنشر والتوزيع. الجزائر. 2005. ص .231.

25_ نفسه. ص. 232.

26_ يعود تأسيس المكاتب العربية إلى قرار 1/2/ 1844 على عهد الحاكم العم بيجو ويعنى بتسيير شؤون الجزائريين حيث سيكون واسطة بينهم وبين السلطة الاستعمارية، يرأسها ضباط عسكريون يساعدهم موظفين فرنسيين كالمترجمين، الكتاب، المحاسبيين وغيرهم، إضافة إلى موظفيين جزائريين بألقاب مختلفة مثل الخليفة، الآغا، القايد...إلخ. تخضع هذه المكاتب إلى إدارة مركزية على مستوى العاصمة تابعة للحاكم العام، ودورها الحقيقي إحقاق الأمن والسلم عن طريق المراقبة والتجسس على القبائل والسعي إلى تثبيت الاستعمار عن طريق تفتيت القبائل وإثارة الصراعات بين الزعامات والقيادات المحلية بهدف إضعافها وإقصاء نفوذها. ينظر: _ Hugounet Ferdinard. Souvenir d'un chef de bureau arabe. Michal lévy- fréver. Paris. 1858. PP. 8-9.

27_ شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص. 388.

28_ Germain Roger. La politique indigéne du Bugeaud. Préface Marcel Emrit. Edition Larose. Paris. 1955. P.

_ Ringel Albert. Bureaux Arabes et les cercles militaires de Galliéni. Emile Larose. Paris. 1903 . P. 27.

29_ أبو القاسم سعد الله. المرجع السابق. ص ص. 217، 218، 220.

30_ فرنسوا مسبيرو. المصدر السابق. ص. 325.

31_ شارل أندري جوليان. المرجع السابق. ص. 352.

32_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 80.

33_ Jaques Frémeaux. Op. Cit. P. 115. /_ Tayeb Chenntouf. Les Resistances armées au XIX siecle. Cahiers magrébins d'histoire . N= 1 . 12/1987. P. 136.

34_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 80.

35_ نفسه. ص. 80.

36_ Jaques Frémeaux. Op. Cit. P. 115.

37_ Moulay Belhamissi. Op.Cit.P. 63 .

38_ نفسه. ص. 81.

39_ فرنسوا مسبيرو. المصدر السابق. ص..237

40_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص ص. 81، 82.

41_ عبد الرحمان الجيلالي. المرجع السابق. ص. 206.

42_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 82.

43_ هنري تشرشل. المصدر السابق. ص. 296.

44_ Moulay Belhamissi. Op.Cit.PP. 63-64.

_ فرنسوا مسبيرو. المصدر السابق. ص.236.

45_ Moulay Belhamissi. Op.Cit.PP. 63-64.

46_ Ibid. PP. 63-64.

47_ فرنسوا مسبيرو. المصدر السابق. ص.249.

48_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 82.

49_ .ولد بليسي في 1800، التحق بالمدرسة العسكرية سانت سير، شارك في حملة فرنسا الأولى على الجزائر، تولى رئاسة المكتب العربي للمدينة من 1833 حتى 1835، وهو الذي أشرف على مجزرة غار الفراشيح في حق قبيلة أولاد رياح ومنح على إثرها عصا المرشالية وتواصلت ترقياته إلى أن أصبح حاكما عاما على الجزائر سنة 1860. توفي بباريس في 1858/5/16. ينظر: Narcisse Faucon. Le Livre d'or de l'Algérie. Tome 1. Challamel. Paris. 1889. P. 446.

50_ بوعزة بوضرساية وأخرون . الجرائم الفرنسية والابادة الجماعية في الجزائر خلال القرن 19. منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954. ص ص. 126، 128.

51_ يحي بوعزيز. المرجع السابق. ص. 84.

52_ بعد الانتشار والتساع الجغرافي للنشاط الثوري لبومعزة والذي وصل إلى بوابة الصحراء اضطرت السلطة الاستعمارية إلى تجنيد قوات معتبرة بقيادة ماري مونج والجنرال هيربيون أين تواجها مع بومعزة في معرك قرب واد مينا وحوض الشلف ما بين شهري جانفي وفيفري من 1847 وحققا انتصارا قويا على حساب الثوار لتقوق عدتهم وعددهم وأبح في حالة مطاردة نحو الجنوب باتجاه ثنية الحد أين تواجه مرة أخرى في مارس 1847 في معركة كبيرة مع هيربيون وتم اعتقاله بعد خيانة وسلم إلى الضابط سانت أرنو الذي سفره في 3/13/ إلى مدينة الجزائر، ومن هناك بعثه بيجو طولون ثم باريس. ينظر : يحي بوعزيز . المرجع السابق. ص ص. 84، 85.

52. اتفق الفرنسيون في ذكر صفات بومعزة منهم سانت آرنو الذي تحدث عنه عندا اضطر للإستسلام في 13 أفريل 1847 فقال:" إنه شاب وسيم ومعتز بنفسه. وعندما تقابلنا ركز كل واحد منا بصره في الأخر " ثم أضاف "ليس بومعزة شخصا عاديا، فهو يتصف بشجاعة نادرة وذكاء وقاد. وكان ا:لأعوان الموالون لنا كلهم تقريبا يزودونه بالرجال والمال والسلاح " . أنظر. مصطفى الأشرف. الجزائر الأمة والمجتمع. تر. حنفي بن عيسى . المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1983. ص350.